

النفوذ الفرنسي في موريتانيا خلال القرن 19

- 01 -

من خلال هذه المحاضرة نحاول تتبع الجذور الأولى للنفوذ الفرنسي في موريتانيا منذ بواكير القرن 19م من خلال التطرق للعلاقات التجارية والسياسية بين التجار الفرنسيين والإمارات الموريتانية والتعرض أيضا للمواجهات المسلحة التي وقعت بين الطرفين ، خاصة في عهد الحاكم الفرنسي في السنغال الجنرال فيديريه و الذي أتبع خطتين من أجل مد النفوذ الفرنسي باتجاه الإمارات الموريتانية من خلال أولا : المواجهة العسكرية ضد الإمارات الموريتانية واستعمال القوة ضدها وإجبارها على الاعتراف بالسيادة الفرنسية على السنغال (مملكة والو) و على نهر السنغال وثانيا : إيفاد البعثات الاستكشافية لجمع المعلومات حول المجال الموريتاني (حول السكان ،توزع القبائل،العادات وتقاليده، دراسات اجتماعية والاقتصادية والثقافية.. وإعداد الخرائط....وغيرها من التقارير) وهذا تمهيدا لتنفيذ الاحتلال المباشر وإلحاق موريتانيا بمستعمرات فرنسا في غرب إفريقيا.

1- العلاقات التجارية والسياسية بين الإمارات الموريتانية والفرنسيون خلال القرن 19م .

بدأ تطلع فرنسا إلى موريتانيا منذ فشل سياسات حكومة لوي فليب (Louis Philippe) 1830- 1848 ، المتوسطة والمصرية قد أعطى دفعا قويا للاحتلال الجزائر والتغلغل في حوض نهر السنغال والعمل على ربط بين المستعمرتين ويكفي في هذا أن ننظر إلى حملات بيجو Bugeaud العنيفة التي انتهت باستسلام الأمير عبد القادر ، وجهود الوالي فيديريه Faidherbe للتغلغل في التخوم الصحراوية (موريتانيا)¹، وعندما تولى نابليون الثالث الحكم في فرنسا عام 1848م وضع مشروعا للتوسع داخل السنغال وعين الجنرال فيديريه Faidherbe² حاكما على المنطقة فجهز حملات كبيرة لإخضاع المنطقة الداخلية واشتبك مع الإمارات القائمة هناك بحروب دائمة واستمرت عشرات السنين³ .

يذكر المؤرخ خليل النحوي في كتابه شنقيط المنار والرباط ،انه منذ سقوط دولة الزوايا (يقصد حركة ناصر الدين السالفة الذكر)، تمكن الفرنسيون من توقيع اتفاقيات تجارية مع بعض الأمراء الموريتانيون ،وكانت نصوص الاتفاقيات تحرر باللغتين العربية والفرنسية وتحدد رسوما وتحمل عنوان " الجزية " يتلقاها الأمراء مقابل السماح لفرنسا بحق التجارة ، وكانت بنود الاتفاقيات تراجع من حين لآخر في ضوء ميزان القوة المتغير فيخفف مقدار " الجزية" أو يثبت وكذلك الشروط الأخرى التي يفرضها الأمراء على

1 - عبد الله عيسى ، المقاومة الإسلامية للاستعمار الفرنسي في السنغال 1854- 1865م ،الحركة العمرية نموذجا ، منتدى العلاقات العربية والدولية ينظر الرابط : file:///C:/Users/N'Tic-InFormatique/Desktop/Islamic-Resistance-French-colonialism-in-Senegal.pdf

2 - للمزيد من المعلومات حول شخصية وأعمال الجنرال ليون سيزار فيديريه انظر الرابط التالي :

- Notice historique sur la vie et les travaux du général Louis-Léon-César Faïdherbe, grand chancelier de la légion d'honneur, membre libre de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres . : https://www.persee.fr/doc/crai_0065-0536_1892_num_36_6_70207

3- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه، المسلمون في غرب إفريقيا ،تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، 2007، ص، 243.

الفرنسيين ،وقد أدت مطامح فرنسا إلى صدمات كثيرة مع الإمارات وارتفعت أصوات العلماء غير مرة بمعارضة هيمنة التجار الاوربيين وتأيد الأمراء الذين يواجهونهم⁴. ونظرا لتزايد اهتمام الاوربيين بتجارة الصمغ وما حققته من أرباح للطرفين فقد أصبح للأمراء الإمارات الموريتانية مثل الترازرة و البراكنة ممثلون تجاريون يتولون عملية التجارة مع الأوروبيون وعرف هؤلاء باسم كاتي Cati ، كما كان التجار الأوروبيون يتجمعون مرة كل عام للصعود في نهر السنغال والإبحار⁵ حيث توجد جالام وفيها تتم عملية مبادلة السلع مع الموريتانيين⁶.

2- سياسة التوسع الاستعماري الفرنسي اتجاه الإمارات الموريتانية خلال القرن 19م
يمكن القول أنه منذ حلول القرن 19 م كانت فرنسا قد أحكمت قبضتها على السنغال وأصبحت تتطلع إلى مد نفوذها باتجاه موريتانيا حيث يوجد الصمغ⁷ ، وكان مشروع فرنسا هو إنشاء مستعمرة زراعية في مملكة " والو Waalo"⁸ ومناهضة التبادل التجاري مع الانجليز في بورتنيك والتدخل في شؤون الإمارات الداخلية وفي علاقاتها مع ممالك الضفة اليسرى (يقصد إمارة الترازرة والبراكنة على وجه الخصوص)، وإقصاء البيضان تحديدا إمارة الترازرة من الضفة اليمنى (يقصد مملكة والو)، هي تلك أهم تجليات السياسة الاستعمارية الفرنسية في حوض نهر السنغال .

هذه السياسة كانت مصدر الصراعات والحروب المتكررة مع جيرانها الشماليين وخاصة إمارة الترازرة الذين اكتفوا أكثر من غيرهم من نيرانها ، وحملوا لواء التصدي لتلك السياسة منذ إرهاباتها الأولى و المتمثلة في مشروع الاستعمار الزراعي 1818- 1831 وحرب زواج الأمير محمد الحبيب من أجمبت وصية عرش " والو " 1833- 1835 وكان على الأمير محمد الحبيب (1829- 1860) أن يتصدى لتلك السياسة ضد الحاكم فيديريه 1855- 1858 فكانت نتائجها حربا مدمرة على الإمارة⁹ ، وكانت نتيجة الحرب لصالح الفرنسيين الذين أملوا شروطهم على محمد الحبيب في اتفاقية

4 - خليل النحوي ، بلاد شنقيط المنارة..والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس، 1987، ص 320.
5 - في شهري جويلية و أوت تكون الملاحة والإبحار في نهر السينغال صالحة للمزيد حول موضوع الملاحة في نهر السنغال انظر:

M,E, Fromaget. Colonie Du Sénégal, Instructions Nautiques Du Fleuve Sénégal, Imprimerie, G,Gounouilhov,1908.

6 - انظر موقع جالام في الخريطة رقم 01 :

7 - هو كل صمغ يعلك، ويجمع على علوك وأعلاك. ويعني في دلالاته المحلية الصمغ العربي الذي تنتجه إفراوات أشجار القتاد المنتشرة بكثرة في الجزء الجنوبي من البلاد في موازاة النهر، وتتركز كثافته في منطقة الترازرة. وإذا كان العلك معروفا منذ القدم، فإن الطلب عليه قد اشد كثيرا في أوروبا الثورة الصناعية، حيث استخدم كصاق كما استعمل في صناعة الورق والحلويات والنسيج، فضلا عن استعمالاته المفيدة في بعض المواد الصيدلانية. وبالنظر لقيمتة هاته، احتدم الصراع بين كبريات الدول الصناعية للاستثمار بتجارته المربحة، وشكل مصدر عيش وسبيل رخاء وتراكم ثروة وجاه لباعته المحليين، ينظر :محمد المختار ولد السعد، إمارة الترازرة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2002 ص 416-420 ولمعلومات إضافية انظر الرابط التالي:

<http://senegalmetis.com/Gomme.html>

8 - للمزيد حول هذه المملكة وخاصة ما تعلق بالاضطرابات التي عرفت خلال الفترة 1830- 1840 وما تعلق أيضا بقضية زواج محمد الحبيب أمير الترازرة بوصية عرش والو أجمبت وما س ينجر عنه من مخاوف للسلطات الفرنسية في السنغال ودخولها في حرب ضد أمير الترازرة ينظر للدراسة القيمة لـ :

Boubacar Barry, Le Royaume Du Waalo, ED, Karthala, 1985, 421p.

Barry (Boubacar) : Le royaume du Waalo. Le Sénégal avant la conquête. وانظر أيضا :

Voir le lien :

https://www.persee.fr/doc/outre_0300-9513_1973_num_60_221_1722_t1_0689_0000_1

انظر الخريطة في الصورة رقم 02

9 - عبد الله عيسى، المقاومة الإسلامية للاستعمار الفرنسي في السنغال 1854- 1865م ، المرجع السابق ، ص 8.

جديدة¹⁰ ، ويمكن ملاحظة أن فرنسا الاستعمارية نفذت سياسة مد النفوذ باتجاه مملكة الوو والإمارات الموريتانية عبر مرحلتين بارزتين :

- **المرحلة الأولى (1814م – 1854م) :**
- **سياسة فرنسا اتجاه الإمارات الموريتانية خلال الفترة 1814م – 1854م (سياسة التهدئة والسلم)**

منذ توقيع معاهدة باريس الأولى 1814م استعادت فرنسا مراكزها في السنغال حيث عاد التجار الفرنسيون لمواصلة نشاطهم التجاري في المنطقة ، غير أنهم وجدوا الإمارات الموريتانية قد وصلت إلى الضفة اليسرى لنهر السنغال وبالضبط إلى **مملكة الوو Waalo** ، حيث احتكرت التجارة ورفضت السماح للفرنسيين بإنشاء مراكز أو وكالات في هذه المنطقة كما رفضوا قبول ممثلين أو مندوبين فرنسيين في بلادهم .

أمام هذه الوضعية اضطرت فرنسا إلى عقد معاهدات مع القبائل الموريتانية ، ففي سنة 1819 م عقدت معاهدة مع عمر بوري ملك مملكة الوو تعمدت فيها فرنسا بدفع مبلغ سنوي للملك مقابل قبوله السماح للتجار بالمتاجرة ، وكانت مملكة الوو تكتسي أهمية كبيرة فهي تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال وكانت على اتصال مباشر بالإدارة الفرنسية في سان لويس ، وتم عقد معاهدات أخرى مع زعماء البراكنة و التراززة ، وأفضى عن ذلك تأسيس مركز داجنا على الضفة اليسرى لنهر السنغال.

ما هو ملاحظ أن الحكام الفرنسيين في السنغال أعطوا أهمية قصوى لعقد المعاهدات مع القبائل الموريتانية فكلما تولى حاكم جديد منصبه سعى للاتفاق مع هذه القبائل وإرضائها، ونرى هذا مثلاً عندما تولى دي جوبلان De Jublin إدارة السنغال وقع في 25 افريل 1829 م مع قبيلة دا خليفة معاهدة للتجارة وكانت هذه القبيلة منفصلة عن بقية القبائل الموريتانية الأخرى.

وكان التدخل الفرنسي سافراً في إمارة البراكنة حيث تضررت مشاريع التجارة الاستعمارية في عهد الأمير المختار بن سيدي أبي سيدي محمد (1257هـ/1841م)، فقرر الحاكم الفرنسي في السنغال اختطاف الأمير البراكني و تم تنفيذ القرار يوم 27 يناير 1843م ونفي إلى الغابون، وفي أدرار تمكن العلماء من إقناع الأمير رغم تعهد سابق منه وفوائدها بعدم توقيع معاهدة مع مبعوث السلطات الفرنسية فينسان Vincent¹¹ ،

10 - خليل النحوي، المرجع السابق، ص 322.

11 - نفسه ، ص 320.

و يعتبر بوى ويميز Bauet Willaumez (1842-1844) الذي تم تعيينه سنة 1842م واليا على السنغال بإعادة تنظيم الوجود الفرنسي لهذه المستعمرة ، متجاوزا طبيعته التجارية إلى الوضع الاستعماري وطلب من سلطات بلاده الموافقة على استخدام القوة ضد البيضان لإنهاء هيمنتها على الممالك السودانية الواقعة جنوب نهر السنغال¹²، فكان أكثر حزما تجاه الموريتانيين ، فمذ عام 1844م بدأ في صد هجمات القبائل الموريتانية بعد تكرار شكاوي التجار الفرنسيين منهم وكانت سياسة هذه بموافقة البرلمان الفرنسي الذي خشي من تزايد نفوذ هؤلاء التجار بعد أن تعددت شكاويهم ، وظل الوضع على هذا الحال إلى غاية مجيئ فيدريه Faidherbe (1854-1861).

• المرحلة الثانية (1850م – 1865م):

• السياسة الفرنسية اتجاه الإمارات الموريتانية في عهد فيدريه Faidherbe (1854-1861) (سياسة الحرب أو السلم) - حرب فرنسا ضد إمارة الترارزة

تجسدت رغبة فرنسا في مد نفوذها نحو المناطق الداخلية لسنغال وباتجاه موريتانيا من الرسالة التي وجهها الإمبراطور نابليون الثالث إلى الحاكم الفرنسي في السنغال السيد بروتي Protet (1850-1854) ، الذي حل محل بوى ويميز وملخصها :

- 1- وضع حد لمطالب واعتداءات القبائل الموريتانية الموجودة بجوار نهر السنغال.
- 2- تأكيد السيادة الفرنسية على نهر السنغال.
- 3- حماية المزارعين الفرنسيين المستقرين ضد غارات السلب التي تقوم بها القبائل الموريتانية.

وعليه جاء تعيين فيدريه سنة 1854م حاكما عاما للسنغال مواكبا للخطة الاستعمارية الجديدة لذلك أوكلت إليه مهمة توسيع النفوذ الفرنسي من نهر السنغال الى الداخل ، وهذا التعيين جاء بعد موجة من الاضطرابات التي عرفت المنطقة والملاحظ انه خلال المرحلة التي سبقت تعيين فيدريه بان فرنسا انتهجت سياسة التهدئة والسلام مع القبائل الموريتانية، لكن مع مجيئ فيدريه تغيرت هذه السياسة¹³ ، خاض عدوة حروب في المنطقة مكنته من تدعيم النفوذ الفرنسي في مستعمرة السنغال ، ومن إجبار أمراء الترارزة و البراكنة وايدوعيش على التنازل عن سيادة البيضان على الضفة الجنوبية وتوقيع اتفاقيات يقبلون فيها بتغيير أسس التبادل التجارة وبالسيادة الفرنسية على الضفة الجنوبية لنهر السنغال ويكون النهر هو الحد الفاصل بين بلادهم وبلاد الزنوج¹⁴.

12 - الحسين بن محنض ، تاريخ موريتانيا الحديث من دولة ناصر الدين الى مقدم الاستعمار 1055هـ - 1322هـ / 1645م - 1905م ، دار الفكر، نواكشوط ، موريتانيا ، 2010، ص ، 265.

13 - محمد عبد الرحمن ولد عمار، السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانية على عهد فيدريه Faidherbe ، مجلة عصور جديدة ، العدد 14-15، أكتوبر 2014، ص، 238. المقال متاح على الرابط : <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/30296>

14 - الحسين بن محنض ، المرجع السابق، ص ، 267.

لخص فيديريه برنامجه التوسعي اتجاه موريتانيا بقوله : (...لابدا من أن نملي إرادتنا على رؤساء المور -يعني البيضان- من أجل تجارة الصمغ ، كما يجب إلغاء الموائى التبادل التجاري باستخدام القوة إذا فشلت وسائل الإقناع ، وينبغي إلغاء كل الإتاوات ...و علينا ان نكون أسياى النهر كما يجب تحرير والو وانتزاعها من التراززة وحماية المزارعين على الضفة اليسرى ضد المور (البيضان)¹⁵ ، ووفق هذه الرؤية استطاع فيديريه توطيد السيطرة الفرنسية ومد نفوذها وتعزيزها في المنطقة .

فقد ركز جهوده في المرحلة الأولى من حكمه (1854- 1861م) على مستعمرة السنغال وموريتانيا وذلك لان أهم عمل عند فيديريه هو تأمين حدود المستعمرة ضد هجمات القبائل الموريتانية والتي كانت تهدد المستعمر من الشمال ومن اجل تحقيق ذلك الهدف لخص سياسته فيما يتعلق بموريتانيا فيما يلي:

1- الضغط على القبائل الموريتانية وإعادة صياغة العلاقات الفرنسية معها (سياسة الاتفاقيات).

2- كشف موريتانيا وجمع المعلومات عنها.

وفي المرحلة الثانية من حكمه (1863م- 1865م)، فقد اهتم بغزو أعالي نهر السنغال والصراع مع زعماء الزنوج¹⁶.

رغم استمرار الأمير محمد الحبيب في مقاومة السياسة الفرنسية حتى كاد أن يقتل في احد الاشتباكات ، لكن انهزام أعلي بن محمد الحبيب أمام القوات الفرنسية جعل الكثير من القبائل تنجح إلى السلم لتبدأ مفاوضات سلام جديدة بين محمد الحبيب وفيديريه انتهت بتوقيع اتفاقية 20 مايو 1858م ولعل هذا هو هدف الفرنسيين أي أنهم يحصلون على السلام مع ضعيف مهزوم، وهكذا نرى أن اتفاقيتي 1858 كانتا ذات شروط مجحفة خاصة الجانب الاقتصادى منهما والذي حدد دخل كل إمارة بنسبة بدلا من الهدايا كانت تتناسب مع قيمة كمية الصمغ المباعة وحجمها¹⁷، رغم العداء الشديد اضطر فيديريه أن يرضخ للإسلام في السنغال فأعتمد القضاء الإسلامى ويستعين بالعرب الشناقطة فيه ويسمح ببناء المساجد، كان راعي المصالح الاستعمارية مضطرا إلى هذا المسلك¹⁸.

وظلت إمارة التراززة مستفيدة في المقام الأول من علاقاتها التجارية بمستعمرة السنغال الفرنسية وكلفها ذلك حروبا شهيرة مع الوالى الفرنسى فيديريه Fiadherbe ومن تلوه ، ولعبت مادة الصمغ الدور البارز في ذلك الصراع حيث كانت محور اهتمام الفرنسيين لحاجتهم لها في صناعة النسيج ، وارتبط بها أمراء التراززة لما يجنونه وراءها من ضرائب عرفية ، وتأسس عليها كذلك اقتصاد سكان الإمارة لدرجة يمكن معها القول : " إمارة التراززة هبة العلك " ، مع وجود دور مركزى لقبيلة إدوالحاج في تجارة الصمغ مع الفرنسيين مما وفر لهم مكانة بارزة في الإمارة تجاوزت القبائل الأخرى.¹⁹

15 - محمد عبد الرحمن ولد عمار ، المرجع السابق ، ص ، 238.

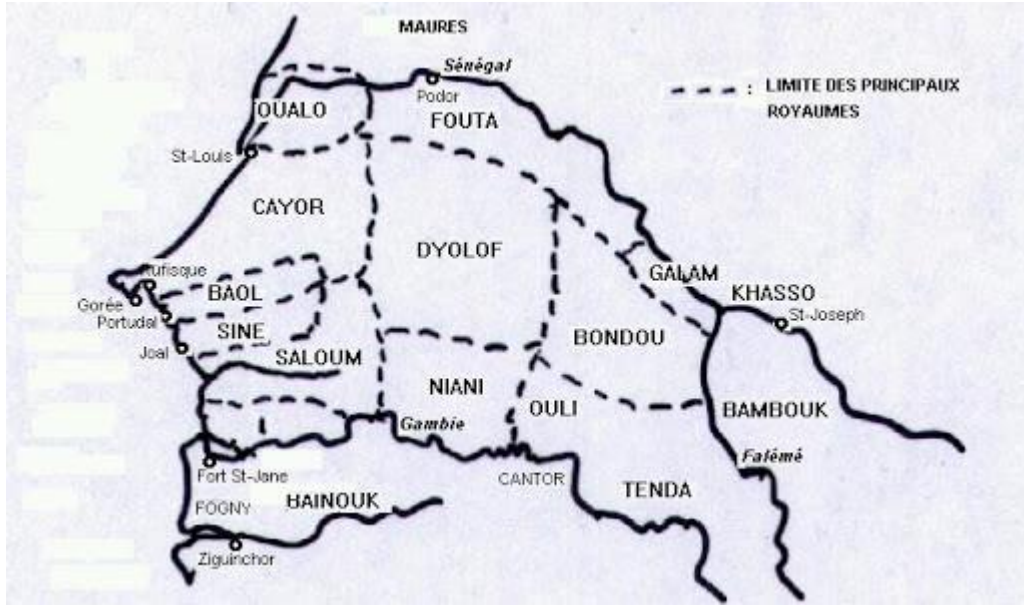
16 - نفسه ، ص 240.

17 - نفسه ، ص 244.

18 - خليل النحوي ، المرجع السابق، ص 268.

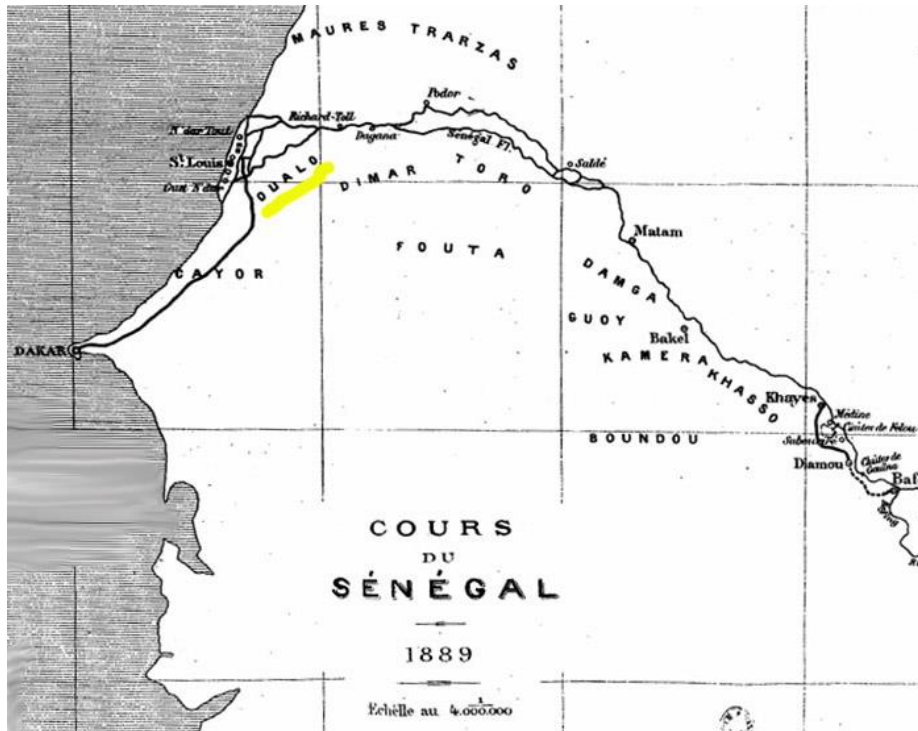
19 - حماد الله ولد السالم ، تاريخ بلاد شنقيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب الشربيه الكبرى ، دار الكتب العلمية، 2010، ص 316.

ملاحق الخرائط التوضيحية
الصورة رقم 01 : خريطة لنهر السنغال توضح موقع جالام



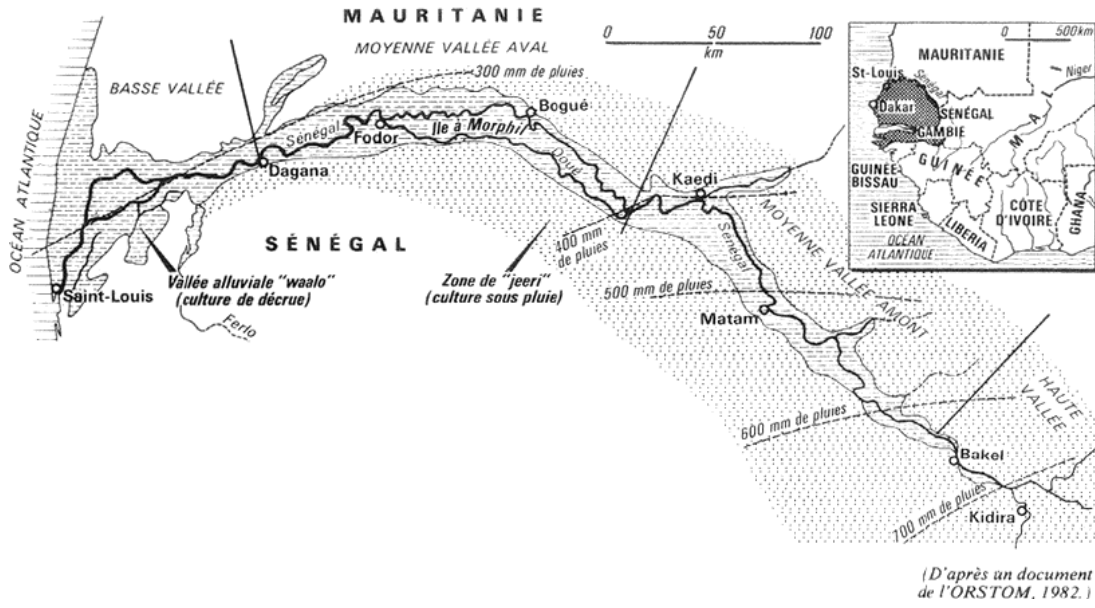
الصورة رقم 02 : خريطة تبين موقع منطقة والو في بلاد السنغال

المصدر <https://www.wikiwand.com/fr/Waalo>



الصورة رقم 03 : خريطة لمجرى نهر السنغال ومناطق ضفتيه الشمالية والجنوبية

وكميات التساقط به المصدر : <https://www.monde-diplomatique.fr/1983/03/LAM/37237>



الصورة رقم 04 : خريطة لنهر السنغال رسمها الضباط الفرنسيين

خلال القرن 19م

الخريطة وضعها مهندس المياه الفرنسي بوارصون (Poirson) بدايات القرن التاسع عشر ثم صححها ونقحها ضابط البحرية آرنييه (Arnier) سنة 1849 ووضع عليها ملاحظات في غاية الأهمية عن أمير التراززة محمد الحبيب ينظر :

<http://sahelnews.info/node/468>

